جامعة القاهرة

كلية دار العلوم– قسم الشريعة

ثبوتُ القرآنِ بين السُّنَّةِ والشيعةِ الإماميّةِ وأثَرُه في الفُروعِ

"دراسة مقارنة"

أطروحة لنيل درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية

إعداد الطالب

محمد السيد محمود علي الصياد

إشراف

ا.د محمد السيد الدسوقي

مشرفاً

ا.د عبد الحميد مدكور

مشرفاً مشاركاً

وما كان هذا القرآنُ أن يُفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين

سورة يونس: ٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله وبعد؛

إنّ دراسةَ ثبوت القرآن بين السنة والإمامية، وجلاءَ الحقيقة في نفس الأمر، أمرٌ في غاية الأهمية؛ لأننا نجد كثيراً من التهم المتبادلة بين غلاة من الطائفتين بتحريف القرآن، فيسارع المستشرقون ويتلقفون تلك التهم المتبادلة ويروجونها على أنها الأصيل والبدهيات لدى المسلمين.

ونحن إذ نبحث هنا في مسألة ثبوت القرآن بين السنة والشيعة فإنّما نردّ في الأساس على أولئك النفر من المتغربين والحداثيين والمستشرقين، الذين يوقظون المعارك الوهمية بين فصائل الأمة، ليجعلوا من الكذب حقيقة، ومن الحقيقة وهماً، وليزعزعوا الثقة في الكتاب العزيز، ولنُثبت في الأساس ثبوت القرآن، من غير تبديل ولا تحريف، وسلامة جمعه وتدوينه، وسلامة وصوله إلينا.

وقضيّة ثبوت القرآن قضيّة مفروغ منها، بمعنى أنها من الثوابت والبدهيات، عند المسلمين، بيد أنّه قد توجب على الباحث أن يدرس كيفية هذا الثبوت، وماهيته، وآلياته، وكيفية وصول الكتاب العزيز مكتوباً مدوّناً مصوناً من كل شَوْب، إلينا، ودراسة بعض الروايات الموهمة للتحريف.

* أهمية الموضوع

ويمكن تحديد أهمية الموضوع فيما يلي:

– تعتبر الشيعة الإمامية أكبر طوائف الشيعة، وأكبر طائفة إسلامية بعد أهل السنة، فدراسةُ رأيهم في ثبوت القرآن، دراسة تدل علي ما في نفس الأمر عندهم، ثم مقارنة ذلك برأي أهل السنة، أمرٌ مفيدٌ للأمة كلها، وينسحب علي لُحمة الأمة، واعتصامها، وعلى قداسة النصّ القرآني.

– نسعى هنا لبحث مسألة ثبوت القرآن وتحديد معالمها ورصد فروعها والأسئلة الشائكة التي يثيرها البعض حول قطعية أو دلالة بعض النصوص التي تهدم أصل الثبوت.

– رصد الفوارق المنهجية، بين الأصوليين والأخباريين، وكيف أثّرت المدرسة الأخبارية على موقف الإمامية في مسألة ثبوت القرآن، ومدى قبول جمهور الإمامية من الأصوليين لهذه المدرسة.

– هذا البحث من البحوث القرآنية المهمّة؛ لأنّ نتيجة هذا البحث سوف تؤكد لنا سلامة مضمون النصّ القرآني، وسلامة الأسس والمفاهيم، والأحكام المذكورة فيه، والمستنبطة منه.

– بيان جمع القرآن، وصيانته عن الضياع والفقدان أثناء عملية الجمع، ومن ثمّ حجية القرآن وثبوته، ودفع الروايات الموهمة للحنٍ أوْ تحريفٍ وما أشبه، –مما لم تأخذ حقها في دراسة أو لم تفرد في مصنّف مستقل–، ورصد أقوال العلماء من الفريقين في هذا الباب.

– رصد الفوارق بين المدارس الشيعية، في قضية الثبوت [الأصوليين– الأخباريين]، وكذلك عند أهل السنة.

لتوضيح الفارق بين المنهج الذي هو لبُّ المذهبِ وأصل المعْتنق، وبين الآراء المتناثرة في ثنايا الكتب، وبطون المصنفات، وأيهما المعتبر، والمعمول به؟

– يسعى البحث هنا للخروج بنتائج منهجية وعلمية مبنية على مقدمات سليمة وأسس علمية تبدي مدى العناية التي أحاطت بالنصّ القرآني في أزمنته المختلفة، خاصة في الصدر الأول.

- **أسباب اختيار الموضوع**

– تحديد الملامح العامّة لرأي الشيعة والسنة في ثبوت القرآن، والمنطلقات المنهجية والعقلية التي ينطلق منها كلّ فريق.

– توضيح مسألة تحريف القرآن بجلاء، ومعرفة هل هي من ثوابت الإمامية الاثني عشرية، أم لا؟!

– عدم معرفة كل فريق بوجهة نظر الآخر، وتوجيه الروايات عند كلّ فريق، وانتشار التهم المتبادلة بالتحريف، في كثير من الأحيان.

– خُلوّ المكتبة الإسلامية من دراسة ترصد قضيّة الثبوت، عند الطرفين، دراسة مقارنة.

ومثل هذه الدراسات المقارنة تفتح آفاق المعرفة وسبل الهداية، أمّا القطيعة المعرفية، وبناء الجسور بين المذاهب الفقهية أو العقائدية فمن شأنها أن تؤجج الصراعات لا أن تخمدها، وتوسع الفجوات لا أن تضيقها. فها هو الإمام العلاّمة الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله وقد (صحب كثيراً من **غُلاة الشيعةِ** والطوائف الباطنية، فما برح يتلطف بهم حتى أضعف من غلوائهم، وأبدلهم بعد الجفوة أُنْساً، وغيّر من انقباضهم وانقباضِ الناس عنهم، ليعيشوا في هناء وسط المجتمع الإنساني الأكبر)[1]. فالإسلامُ هو دينُ الإنسانيةِ كلِّها، ورحمته بالبشر جميعاً تتنزل.

- **الصعوبات التي واجهت الباحث**

١– الطبيعة الشائكة للموضوع، التي تتطلب حيادية وإنصافاً، ومنهجية بحثية عالية.

٢– صعوبة الوصول إلى كثير من المراجع الشيعية، وصعوبة معرفة المعتمد الذي تلقاه الشيعة بالقبول من غيره، مما يفقد الباحث قدرته على الإنصاف والتجرد، ورصد الواقع وما هو كائن في نفس الأمر، مما اضطرني إلى السفر إلى مدينة النجف كي أحصل على أكبر قدر من المراجع الشيعية، ومقابلة أكبر عدد من رجال الدين الشيعة، ورصد المناهج التنظيرية والواقعية بنفسي، ومعرفة الثقافة الشائعة في البيئة الشيعية الخصبة، والوقوف على عرف الجماهير ورجال الدين هناك!. وبالفعل استفدتُ كثيراً في رسالتي من هذه الرحلة، فقد تحصلت على كتب نادرة، ولقاءات هامّة، وولوج في البيئة الدينية الشيعية، ومخالطة العوام ورجال الدين، والصلاة في مساجدهم، ودخول مكتباتهم الكبرى والهامّة، مثل: مكتبة الإمام الحسن، والمكتبة الحيدرية، ومكتبة الإمام محسن الحكيم.

---

[1] – مقدمة العلاّمة المحدّث عبد الفتاح أبو غدّة لكتاب: "التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن"، للشيخ طاهر الجزائري، ص٢٧، ط٥/مكتب المطبوعات الإسلامية ١٤٣٣هـ. وانظر: صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، للعلامة عبد الفتاح أبو غدة، ص٢٢١، ط/ البشائر.

– ومن الصعوبات كذلك: صعوبة تحرير كتب الشيعة والوصول إلى المعتمد من الآراء المتعددة بين علمائهم التي تصل إلى درجة من التناقض في كثير من الأحايين. فغربلة هذا التراث الضخم، وضبط المنهج المعتمد لديهم أمر صعب.

- **الدراسات السابقة**

ما وجدتُهُ مِنْ دراسات تدخل جلها في حيز علم الكلام، والعقيدة، والفلسفة. ولم أجد من الدراسات دراسة مقارنة تناولت رأي الإماميّة في ثبوت القرآن، ثم مقارنة ذلك بموقف أهل السنة في ثبوت النص القرآني أيضاً.

ومع ذلك فمن الدراسات التي تلمس –ولو من قريب– موضوعنا هذا:

– صيانة القرآن من التحريف، محمد هادي معرفة. (كتاب). وهو يبحث في مسألة تحريف القرآن فقط، من وجهة نظر شيعية. وهو يدافع فيه عن سلامة النصّ القرآني، ويردّ على الأخباريين الذين قالوا بالتحريف، ويوجّه روايات الكافي للكليني بما يخرجه من حيز القائلين بالتحريف.

– صيانة القرآن من التحريف، السيد كمال الحيدري. (كتاب). وهو أيضاً يبحث في مسألة التحريف من وجهة نظر شيعية.

– مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع، د. علي أحمد السالوس. (كتاب). وهو كتاب عامّ يبحث في عقائدهم، ومباحثهم الفقهية والأصولية، وتكلّم عَرَضَاً عن موقفهم من القرآن الكريم، لكنْ لم يفرد موقفهم حول ثبوت القرآن بالمساحة اللازمة، ولم يتطرق إلى معالمها، من كافّة الجوانب.

والجديد هنا في هذه الدراسة: أنني أقومُ برَسْمِ مَلامح عامة لمسألة الثبوت التي يترتب عليها تفسير النص القرآني، واستنباط الأحكام الفقهية، وتحديد ضوابط محددة لمعالم الموقف الشيعي الإمامي من القرآن الكريم، من حيث الثبوت، والجمع، والتدوين. أي نقوم برسم ملامح عامة لقضية ثبوت القرآن الكريم بصفة عامة.

- **منهجية الدراسة**

تقتضي طبيعة هذه الدراسة استخدام "المنهج الاستقرائي"، عن طريق استقراء كتب الشيعة الاثني عشرية قديماً وحديثًا، والوقوف علي المعتمد منها. كما تستخدم الدراسة المنهج المقارن لتوازن بين رأي أهل السنة في الثبوت ورأي الإمامية فيه.

- **الخطة المقترحة للدراسة**

وسيأتي البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول. ستتوالى على النحو الآتي:

أولاً/ مقدمة وفيها:

– بيان أهمية الموضوع وصلته بالواقع المعاصر، وحاجة الأمة إليه.

– أسباب اختياري لهذا الموضوع.

– الدراسات السابقة.

–منهجية الدراسة.

ثانياً/ تمهيد يشتمل على:

- تعريف الشيعة.
- أصولهم العقدية.

ثالثاً/ المحتوي، وفيه:

الفصل الأول: القرآن وتنزلاته بين السنة والشيعة

المبحث الأول: **التعريف بالقرآن والوحي بين السنّة والشيعة.**

المطلب الأول: التعريف بالقرآن، بين السنة والشيعة.

المطلب الثاني: الوحي بين السنّة والشيعة.

المبحث الثاني: **نزول القرآن بين السنة والشيعة.**

المطلب الأول: في معنى النزول، بين السنة والشيعة.

المطلب الثاني: في كيفية النزول بين السنة والشيعة.

الفصل الثاني: جمع القرآن بين السنة والشيعة

المبحث الأول: **جمع القرآن عند السنة.**

المطلب الأول: جمع القرآن وتدوينه في عهد النبي صلى الله عليه وسلّم.

المطلب الثاني: جمع القرآن في عهد الصحابة.

المبحث الثاني: **جمع القرآن عند الشيعة الإمامية.**

المطلب الأول: جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: جمع القرآن في عهد الصحابة.

خاتمة: الموازنة بين الفريقين، والرأي الراجح.

الفصل الثالث: دعوى تحريف القرآن عند الإماميّة وموقف السنّة منها

المبحث الأول: **الشيعةُ ودعوى تحريف القرآن.**

المطلب الأول: التحريف عند الإماميّة بين الإثبات والنفي.

المطلب الثاني: الحركة الأخبارية وموقفها من التحريف.

المطلب الثالث: كيفية التعامل مع روايات التحريف، وتفسيرها.

المطلب الرابع: مصاحف الشيعة.

المبحث الثاني: **السنة ودعوى وتحريف القرآن.**

المطلب الأول: دعوى اللحن في القرآن.

المطلب الثاني: قرآنية البسملة.

المطلب الثالث: قرآنية المعوذتين.

المطلب الرابع: دعوى التحريف في سورة الأحزاب.

المطلب الخامس: دعوى أكل الداجن لصحائف القرآن.

المطلب السادس: اختلاف مصاحف الصحابة.

الفصل الرابع: أثر ثبوت القرآن عند الإمامية في الفروع.

المبحث الأول: إتيان المرأة في الدبر.

المبحث الثاني: تحريم الزواج بالكتابيات.

المبحث الثالث: المتعة في الحج.

المبحث الرابع: زواج المتعة.

المبحث الخامس: تمسك الشيعة بميراث النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث السادس: مسح القدمين في الوضوء.

المبحث السابع: المسح على الخفين.

المبحث الثامن: الخمس.

المبحث التاسع: الأنفال.

المبحث العاشر: نجاسة سؤر الآدمي.

المبحث الحادي عشر: صلاة الجمعة بين الوجوب والتحريم.

المبحث الثاني عشر: الإشهاد على الطلاق.

الخاتمة؛ وفيها:

١- النتائج.

٢- التوصيات.

تمهيد

الشيعة؛ مقدمات منهجية ومداخل معرفية

لا أسعى في هذا التمهيد لاستيعاب نشأة المذهب الشيعي الإمامي، ولا لاستقصاء عقائده، وحصر مناهجه، فذلك خارج نطاق هذا البحث الذي هو في الأساس دراسة حول تاريخ القرآن الكريم، وبحث ثبوته من زوايا عدّة ذكرتها كتب علوم القرآن على عجالة، ومن ثمّ حجيته، علاوة على أنّ كتب العقائد ورسائل الفلسفة استقصت نشأة التشيع، وطوائفه، وما أشبه، بيد أنني أريد أنْ ألفت النظر إلى ما يصبّ في مصلحة البحث، ومظانّ الدراسة، فأقوم بالتركيز على كلّ فكرة من شأنها أنْ تفيد أخرى داخل الدراسة، أو تزيل غموضا، أو تحلّ إشكالا، وأقوم بالمرور سريعاً على ما لا تحتاجه الدراسة ولا تُعدّ من مظانّه، أو تجاهله بالكليّة.

**

تعريف الشيعة

أولا/ التعريف اللغوي

الشيعة لغة:

جاء في لسان العربِ: (والشِّيعةُ: القومُ الذين يجتمعون على الأمر. وكُل قومٍ اجتمعوا على أَمر، فهم شِيعةٌ. وكُلُّ قوم أمرُهم واحد يَتْبَعُ بعضُهم رأي بعض، فهم شِيَعٌ. قال الأزهريُّ: ومعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضاً وليس كلهم متفقين، قال الله عز وجلّ: ﴿**إن الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء**﴾ -الأنعام ١٥٩-، كلُّ فِرْقةٍ تُكفّر الفرقة المخالفة لها، يعنى به اليهود والنصارى لأنّ النصارى بعضُهم يكفّر بعضاً، وكذلك اليهود، والنصارى تُكفِّرُ اليهود واليهود تكفرهم، وكانوا أُمروا بشيءٍ واحد.

والشيعةُ: أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شِيَعٌ، وأَشْيَاعٌ جمع الجمع. ويُقال: شايَعَه كما يُقال والاه من الوِلْي.

وقد غلبَ هذا الاسم على من يَتَوالى عليًّا وأهلَ بيته، رضوان الله عليهم أجمعين، حتى صَارَ لهم اسماً خاصّاً، فإذا قيل: فلانٌ من الشيعة عُرِف أنه منهم، وفي مذهبِ الشيعةِ كذا: أي عندهم. وأصلُ ذلك من المشايَعةِ، وهي المتابعة والمطاوعة؛ قال الأزهريُّ: والشيعةُ قومٌ يَهْوَوْنَ هوى عِتْرةِ النبي صلى الله عليه وسلم، ويوالونهم)[1] اهـ.

وجاء في مختار الصحاح: (وَشِيْعَةُ الرَّجُلِ: أتباعُه وأنصارُه. وتشيَّع الرجل: ادَّعى دعْوى "الشِّيعة". وكل قومٍ أمرُهُم واحدٌ يَتْبع بعضُهم رأي بعض، فَهُم شِيَعٌ. وقولهُ تعالى: ﴿**كما فُعل بأشياعهم من قبل**﴾[2]، أي بأمثالهم من الشِّيَع الماضية)[3].

---

[1] – لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، ١٧٦/٨، ط/دار صادر، بيروت، د.ت. مادة: شيع، باختصار.

[2] – سورة سبأ: آية ٥٤.

[3] – مختار الصحاح، زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي، ص٣٠٧، ط١/دار السلام٢٠٠٧م. مادة: شيع.

ومما سبق يبدو أنّ الدلالة اللغوية لكلمة الشيعة تعني الفرقة والطائفة، والعصبة التي يناصر بعضها بعضاً.

ثانياً/ الشيعةُ اصطلاحاً

يقول **الشهرستاني** رحمه الله: (الشيعةُ هم الذين شايعوا عليًّا رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصًّا ووصية، إما جليا، وإما خفيا)[1].

يقولُ **ابن خلدون**: (ويُطلق لفظ الشيعة في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتْباع علي وبنيه رضي الله عنهم)[2].

فهذا الاسم "الشيعة" غلب على أتباع عليّ وولده ومن يواليهم، والمراد بالمشايعة ليس مجرد الحب، بل هناك خصوصية زائدة وهي الاقتداء والمتابعة له[3].

ما سَبَقَ، تعريفٌ للشيعة في عمومها، أي بكلّ أقسامها وفئاتها.

ثالثاً/ تعريف الشيعة الإمامية

انقسم الشيعة إلى طوائف: الزيدية، والإمامية الاثنا عشرية، والإمامية الإسماعيلية. ومدار هذا البحث حول الإمامية الاثنا عشرية.

الشيعةُ الإماميَّة:(هم القائلون بإمامة علي –رضي الله عنه– بعد النبي صلى الله عليه وسلم، نصًّا ظاهراً، وتعيينًا صادقًا من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين)[4].

يقول **الأشعريّ** :(وهم يُدعون الإمامية لقولهم بالنصّ على إمامة علي بن أبي طالب)[5]. وكذلك يدعون الاثنا عشرية لقولهم باثنى عشر إماماً.

ويعرّفهم **ابن حزم** رحمه الله بقوله: (ومن وافق الشيعة في أن عليًّا رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحقهم بالإمامة وولده من بعده؛ فهو شيعي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيًّا)[6].

ويُوافق بعضُ رجال الدين الشيعة ابنَ حزم في تعريفه، ويرونه من أدقّ التعاريف[7].

---

[1] – الملل والنحل، الشهرستاني، ١٤٦/١، ط/مؤسسة الحلبي د.ت.

[2] – مقدمة ابن خلدون، بعناية دكتور على عبد الواحد وافي، ٥٧١/٢، ط/الهيئة المصرية العامة للكتاب٢٠٠٦م.

[3] – انظر: عقائد الشيعة المسمى أصل الشيعة وأصولها، محمد الحسين آل كاشف الغطاء، ص٦٧، ط١/مكتبة النافذة٢٠٠٦م. تقديم: د. حسن حنفي، والإمام الأكبر محمود شلتوت، ومحمد رشيد رضا.

[4] – الملل والنحل، الشهرستاني، ١٦٢/١.

[5] – مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، ٣٤/١، ط١/المكتبة العصرية ٢٠٠٥م.

[6] – الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ١٠٧/٢.

[7] – تاريخ الإمامية، عبد الله فياض، ص٣٣، نقلا عن: (مسائل الاعتقاد عن الشيعة الاثنى عشرية ٢٧/١، محمد زكريا زكريا النداف، ط١/دار السلام ٢٠١١م).

ولأئمة أهل البيت تعريفات خاصّة بهم للشيعة: فعن أبي جعفر (ع) قال: (لا تذهب بكم المذاهب، فوالله ما شيعتنا إلاّ من أطاع الله عز وجل)[1]. أي: (لا تحسبوا أنّ مجرد القول بالتشيع كافٍ في النجاة، من دون مشايعة لنا في عبادة الله تعالى)[2].

والخلاصةُ: أنّ الإمامية يقولون: نحن شيعة علي وتابعوه نسالم من سالمه ونحارب من حاربه، ونعادي من عاداه، ونوالي من والاه، إجابة وامتثالا لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه"، وحبنا وموالاتنا لعلي وولده إنما هي محبة وموالاة للنبي وطاعة له[3].

وهم لا يكتفون بالقول بإمامة عليّ بل يذهبون إلى القول بعصمته، وبنيه من بعده[4]، وفي هذا مغالاة وتجوّز لا يقبله عقلٌ سديد، ولا منطق قويم، ولا يؤيده برهان قطعي الدلالة والثبوت! وسوف نقف مع هذه المسألة لاحقاً.

والغريبُ هنا أنّهم يقولون بكفر النواصب، الذين يناصبون عليًّا العداء، ويبغضونه وذريته من خلفه[5]، ثم يناصبون هم العداء والبغضاء والكراهية لأبي بكر وعمر وجلّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم. مع أنّ عليًّا كرّم الله وجهه لم يلعن غيره من الصحابة، بل ولم يهجرهم مع أنّه كرم الله وجهه لم يخفهم، ولم يهبهم، وكان قويًّا شجاعاً قوّالاً بالحق، مقداماً في كل عهود الرسالة، كي لا يزعم زاعمٌ أنّه فعل هذا تقية. فكان عليّ كرم الله وجهه من أهل الشورى في كل الأزمان قبل خلافته، وارتضى ما أسفرت عنه لجنة التحكيم بعد موت عمر، ولم يخرج ليقول لهم: "أنا معصومٌ، وأنا الإمام بالنصّ وأنا أحقّ بها"[6]!

بل إنه رضي الله عنه عاون الخلفاء بالرأي السديد، والمشورة الحسنة، ولم يتخلّ عنهم، أو ينتبذ بنفسه عن كيان الأُمّة، بل كان جزءًا لا يتجزأ من همومها، ومعاركها الحربية والفكرية.

إذن لماذا لا يتأسون بالإمام عليّ رضي الله عنه وكرّم الله وجهه؟!

إذن الشيعة بالمصطلح الآني ليسوا فقط هم أتباع عليّ وأنصاره، بل هم من حرّفوا منهج أتباع عليّ عن حقيقته وعمّا كان في عهد عليّ نفسه، فزادوا عليه العصمة، والنص بالإمامة، والاثني عشر إماما، وتلك النظرية التي تبلورت، مما لم يقله عليّ كرم الله وجهه، ولم يكن شائعاً في عهده، ولا يرتضي به إن وُجد!. ففي بداية الأمر كانت الشيعة مجرد فرقة من الأمة لها رأي سياسي، لكنهم حادوا عن المنهج السياسي ليشكلوا منظومة عقدية وفكرية، وفقهية مغايرة لمسار الأمة، وخطوطها الطبيعية.

وهذا التطور في الكيان الشيعي ومن ثمّ في تحديد المصطلح، ألمح إليه الحافظ ابن حجر رحمه الله، فقال: (التشيّع في عرف المتقدمين هو اعتقاد تفضيل عليّ على عثمان، وأنّ علياً كان مصيباً في حروبه، وأنّ مخالفه مخطئ، مع تقديم الشيخين

---

[1] – أصول الكافي ٢/٧٩، كتاب الإيمان والكفر، باب الطاعة والتقوى. قلت: وهذا تعميم شديد، أوْ قصْر للطاعة على الشيعة دون سواهم، وهذا غير صحيح. (بإفادة شيخنا الدكتور مدكور).

[2] – الوافي شرح الكافي ٣/٦٠ .

[3] – عقائد الشيعة، محمد الحسين آل كاشف الغطاء، ص٨٨.

[4] – راجع: هذه هي الشيعة، للمجتهد الشيعي باقر شريف القرشي، ط/ ستاره– النجف ٢٠١٠م.

[5] – حوار مع السيد صالح الحكيم يوم ٢٥ فبراير ٢٠١٣م، في النجف.

[6] – وجّهت هذا السؤال للسيد محمد باقر السيستاني، فتلعثم، وأجاب بإجابةٍ واهية، وسيأتي.

وتفضيلهما، وربما اعتقد بعضهم أنّ عليًّا أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا كان معتقِد ذلك ورعاً ديناً صادقاً مجتهداً فلا تردّ روايته بهذا، لا سيما إن كان غير داعية.

فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غالٍ في تشيعه، **ويُطلق عليه رافضي، وإلاَ فشيعيّ**، فإن انضاف إلى ذلك السبُّ أو التصريح بالبُغْض –وهو التشيّع في عرف المتأخرين– فغالٍ في الرفض، وإنْ اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشدُّ في الغلو، ولا تُقبل رواية الرافضي الغالي ولا كرامة)[1].

وعندما نتأمل في كلام ابن حجر الدقيق، نراه يلمح إلى تطور المصطلح، وأن المتقدمين كانوا قد اكتفوا بتقديم عليّ على عثمان، مع تفضيل الشيخين، ثم خلف من بعدهم أناسٌ يقدمون عليًّا على سائر الخلق بعد رسول الله، ثم قالوا بالعصمة، ثم بالنصّ، وهلم جرًّا.

***

[1] – تهذيب التهذيب، الحافظ ابن حجر ٩٤/١، ط/ حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٢٥هـ. وانظر: الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، للإمام اللكنوي، بعناية عبد الفتاح أبو غدة ص١٤٦، ط/دار السلام بالقاهرة ٢٠٠٠م.

أصول العقيدة عند الإمامية

والإماميّة يشاركون أهل السنّة في بعض العقائد، ويفترقون في بعضها. فهم يشتركون مع السنة في الإيمان بالله والنبوات والإيمان بالملائكة، والإيمان بالبعث وما بعده، ولهم في بعض هذه الأصول فهم خاص بهم. أمّا أهمّ عقائدهم الخاصّة التي يفترقون بها عن السنّة فهي:

- **التقيَّة**

تُعرّف التقية على أنّها إظهار خلاف ما في الباطن. واستدلّ الشيعةُ على عقيدتهم في التقية، وأنها ركن من أركان المذهب، لقول الله تعالى: ﴿**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير**﴾[1].

قال **الطبريّ** تعليقاً على هذه الآية: (التقية التي ذكرها الله في هذه الآية إنما هي تقية من الكفار لا من غيرهم)[2].

فهي عند أهل السنة (سلوك عمليّ، ورخصة مرتبطة بالضرورة والاضطرار، وليس عقيدة دائمة، ولا عزيمة مؤكدة)[3].

والفارق أنّ الشيعة أوجبوها وجعلوها من ثوابتهم ومعتقداتهم وقت الحاجة إليها، فلا يمكن لشخص أن ينفضّ عنها بالمصارحة والمجاهرة بما في نفسه، لكنها عند السنّة رخصة وقت الضرورات القصوى[4].

والشيعةُ في ذلك فريقان:

أولا/ الفريق الأول

من عُلماء الشيعة من قصرها على الضرورات ولم يتوسع فيها، أو يعتبرها من أُمّهات العقائد، يقول المفيد: (التقية كتمان الحقّ، وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم **بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا**)[5]. فحصرها فيما يعقبه ضرر ديني أو دنيوي.

ويؤيد ذلك ما يراه بعض علماء الشيعة أنّ التقية وُجدت في ظل ظروف معينة، ولأسباب معينة، فلمّا زالت تلك الأسباب، انتفت التقية وصارت جزءًا من الماضي، أي: إذا انتفت العلّة، انتفى المعلول، فيقول جواد مغنية: (لعن الله من أحوجنا إليها، اذهب الآن أنَّى شئت من بلاد الشيعة فلا تجد للتقية عندهم عيناً ولا أثراً)[6].

---

[1] – آل عمران: ٢٨.

[2] – تفسير الطبري ٦/٣١٦.

[3] – مسائل الاعتقاد عند الشيعة الاثني عشرية، د. زكريا النداف، ٢/٧١٣.

[4] – انظر: السابق: ٢/٧١٦.

[5] – شرح عقائد الصدوق، ضمن كتاب أوائل المقالات ص٢٦١، ط/إيران.

[6] – الشيعة في الميزان، محمد جواد مغنية، ص٥٢.

ثانياً/ الفريق الثاني

ارتأى هذا الفريق أنها ركنٌ من أركان الدين، وعقيدة من عقائده. واستندوا إلى الأقوال الآتية:

- **رواياتهم وأقوالهم في التقية**

– قال الصادق: (لو قلت أن تارك التقية كتارك الصلاة، لكنتُ صادقاً)[١].

– وقال الشيخ شيخ الطائفة الصدوق: (اعتقادنا في التقية أنها واجبة، من تركها بمنزلة من ترك الصلاة)[٢].

– وقال: (التقية واجبة لا يجوز رفعها، إلى أن يخرج القائم عليه السلام فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن **دين** الله تعالى وعن دين الإماميّة، وخالف الله ورسوله والأئمة عليهم السلام)[٣].

– ورُوى عن جعفر الصادق: (إنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله)[٤].

– عن معمر بن خلاد قال: (سألتُ أبا الحسن عليه السلام عن القيام للولاة؟ فقال: قال أبو جعفر عليه السلام: (التقية من ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقية له)[٥].

– وفي رواية عندهم: (إنّ أكرمكم عند الله أعملكم بالتقية قبل خروج قائمنا)[٦].

إذن التقية كما بدا من رواياتهم وأقوالهم ليست للضرورة فحسب، بل ركنٌ من أركان مذهبهم، ومبدأ عام، وجزء من المنهج، حتى يخرج القائم عليه السلام!.

- **ممارسة الأئمة للتقية**

مارس أئمة الشيعة الإمامية التقية في حياتهم. فقد روى الكُلَيني أنّ (رجلاً من المنافقين، مات فخرج الحسين بن علي صلوات الله عليهما يمشي معه، فلقيه أحد شيعته فقال له الحسين رضي الله عنه، أين تذهب يا فلان؟ قال: فقال له مولاه: أفرّ من جنازة هذا المنافق أن أصلي عليها، فقال له الحسين عليه السلام: انظر أن تقوم على يميني فما تسمعني أقول فقل مثله. فلما أن كبّر عليه وليّه، قال الحسين عليه السلام: الله أكبر، اللهم العن فلاناً عبدك ألف لعنة مؤتلفة غير مختلفة، اللهم أخز عبدك في عبادك وبلادك، وأصله حرّ نارك وأذقه أشد عذابك، فإنّه كان يتولى أعداءك ويعادي أولياءك، ويبغض أهل بيت نبيك صلى الله عليه وسلم)[٧]. وتنقل كثيرٌ من الروايات أنّ الأئمة كانوا يمارسون التقية مع أتباعهم[٨].

---

[١] – من لا يحضره الفقيه، ابن بابويه، ٨٠/٢، وسائل الشيعة للحر العاملي ٩٤/٧.

[٢] – الاعتقادات ص١١٤.

[٣] – الاعتقادات ص١١٤– ١١٥.

[٤] – أصول الكافي ٢٢٢/١.

[٥] – أصول الكافي ٢٢٢/٢.

[٦] – بحار الأنوار، للمجلسي، ٣٢١/٢٥.

[٧] – الكافي للكليني ١٨٩/٣.

[٨] – أصول الكافي ٦٢٨/١، كتاب الحجة باب صلة الإمام.

وهذه الروايات هي نفاقٌ صراحٌ ومعاذ الله أن تُنسب لإمام من أئمة الإسلام فضلا عن الإمام الحسين رضي الله عنه[1].
وفارقٌ كبير بين أن تكون التقية لحالة الضرورة كفرع فقهي، يباح وقت الحاجة، لمن أراد أن يستعمله، وبين أن تكون عقيدة يتوجب على الجميع أن يستعملها، ويأخذ بها.
ولقد وجد الباحث انتقادات كثيرة من الشيعة موجهة إلى علماء الدين السنّة بزعم أنهم جميعا من فقهاء السلاطين! مع أنّ الواقع يُنافي ذلك، وفي نفس الوقت نجدهم يقولون بالتقية وينافقون السلاطين، في تاريخهم القديم والحديث!. وهو ما لمحه الإمام الخميني وتخوف وحذّر منه. وسننقله بعد قليل.

- **بين الفريقين**

(وقد أدرك بعض علماء الشيعة المعاصرين المبالغة في أمر التقية ولذلك علت صيحاتهم تدعو إلى الاقتصاد في التقية ومحاولة ضبطها)[2]، **فالإمام الخميني** رحمه الله يقول: (فلا ينبغي التمسك بالتقيّة، في كل صغيرة وكبيرة، أمّا إذا كان الإسلام كله في خطر فليس في ذلك متسع للتقية والسكوت، ماذا ترون لو أجبروا فقيهاً على أن يشرع ويبتدع؟ فهل ترون أنّه يجوز له ذلك تمسكاً بقوله عليه السلام: "التقية ديني ودين آبائي")[3].
ولقد حاول أيضاً السيد الخوئي رحمه الله أن يجد مخرجاً لمفهوم التقيّة ومواطن استعمالها فيقول: (والصحيح عدم اختصاص التقية بوقت دون وقت، وإنّما الحكمة في تشريعها هي المداراة وتوحيد الكلمة وإبراز الميزة بينهم وبين العامّة، وعليه فهي تأتي في أمثال زماننا أيضاً، فيستحب حضور مساجدهم والصلاة معهم)[4].
والتقية كما رأينا من صميم عقيدتهم، وهي نفاق محض، وإلغاء لثوابت الدين بزعم التقية.

***

- **الرجعة**

الرجعةُ لغة: الانصراف، يقال: رجع يرجع رجوعاً: إذا عاد. وراجع الرجل امرأته، وهي الرَّجْعَة والرِّجْعة[5]. وفلانٌ يؤمن بالرجعة، أي: بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت[6]. وهذا المعنى اللغوي هو ما أراده الشيعة.
يقول **المفيد**: (أجمعت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وإن كان بينهم في معنى الرجعة اختلاف)[7].

---

[1] – قال شيخنا الدكتور مدكور: (هل يعقل أن يقول الحسين هذا، وقد تعلم من جدّه صلى الله عليه وسلم، أنّ المسلم المؤمن ليس شتّاماً ولا طعانا ولا لعاناً).
[2] – مسائل الاعتقاد عند الشيعة الاثني عشرية، ٢/٧٢٤، د. محمد زكريا النداف.
[3] – الحكومة الإسلامية، الإمام الخميني ص١٤٢.
[4] – كتاب الطهارة، ٤/٣١٨، السيد الخوئي، ط/دار الهادي ١٤١٠هجري.
[5] – انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ص٣٧٢، ط/دار الحديث ٢٠٠٨م.
[6] – انظر: مختار الصحاح للرازي، ص٢٠٧، مادة: رجع. ط/دار السلام بالقاهرة.
[7] – أوائل المقالات، المفيد، ص٤٦.